فصوص الحكم

محيي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المرسي

ابن عربي

المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

شرح

صائن الدين علي بن محمد التركه

تحقيق وتعليق

محسن بيدارفر

الجزء الأول

انتشارات بيدار

تركه اصفهاني ، علي بن محمد ، ٧٧٠-٨٣٥ ق .
شرح فصوص الحكم [محيي الدين ابن عربي]/ الشارح صائن الدين علي بن محمد تركه ؛ المحقق محسن بيدارفر - قم : بيدار ، ١٣٧٨ ش .
٢ج .
ISBN 978-964-7155-31-1 (دوره)
ISBN 978-964-7155-39-7 (ج ١)
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا (فهرستنويسى پيش از انتشار) .
عنوان روي جلد : فصوص الحكم .
عربي .
كتابنامه .
١ ابن عربي ، محمد بن علي ، ٥٦٠-٦٣٨ ق . فصوص الحكم - نقد وتفسير . ٢ عرفان - متون قديمي تا قرن ١٤ . ٣ تصوف - متون قديمي تا قرن ١٤ . ٤ فلسفه اسلامي - متون قديمي تا قرن ١٤ .
الف ابن عربي ، محمد بن علي، ٥٦٠-٦٣٨ق . فصوص الحكم . شرح . ب بيدارفر ، محسن ، ١٣٢٢ - ، مصحح . ج عنوان . د عنوان : فصوص الحكم . شرح .
BP ٢٨٢/الف٢ف٦٠٢٢٤
٢٩٧/٨٣
كتابخانه ملي ايران
٧٨-١٧٦٢م

الكتاب ..... شرح فصوص الحكم
الماتن ..... محيي الدين ابن عربي
الشارح ..... صائن الدين علي بن محمد تركه
المحشي ..... المولى علي بن جمشيد النوري
المحقق ..... محسن بيدارفر
الناشر .....بيدار - قم - ☎ ٧٧٤٣٤٢٩
المطبعة .....شريعت
الطبعة الاولى : ١٣٧٨ ش.....الثانية: ١٣٨٩ ش ١٤٣١ ق
عدد النسخ ٣٠٠
الجزء ..... الأول

ردمك: .....(دوره ٢جلد) ١-٣١-٧١٥٥-٩٦٤-٩٧٨
(ج١) ٧-٣٩-٧١٥٥-٩٦٤-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

(١)

ماهو العرفان ؟

الإنسان بعد مجيئه إلى هذا العالم وبلوغه إلى حد التفكير ، فأول ما يرى نفسه ثمّ العالم حوله ، ويحصّل من هذه المَشاهد مفهوما عامّا يعبّر عنه بالوجود ؛ فأوّل مايعرض له من الأسئلة السؤال عن الوجود : ماهو ؟

ويظنّ في بدء الأمر أنه سؤال سهل ساذج ، ولكن كلما أمعن وتأمّل في الجواب ظهر له صعوبة الإجابة عنه أكثر ، فأكثر ! وبالسعي في الإجابة حصل على معلومات حول أجزاء معيّنة من العالم الموجود والأشياء الموجودة ، ظهرت بها علوم مختلفة يستهدف كل منها الجواب عن قسم من المسائل المطروحة التي اشتغل بها جمع من المحققين ، الذين تمكنوا بمجاهداتهم وتفحّصاتهم من اكتشاف غوامض كثيرة عن أسرار هذا العالم .

ولكن رغم هذا الجهد الكبير والعمل المكثّف فالسؤال باق على حاله لم يتضح بعد ، ولم يتبيّن : **ما هو الوجود ؟**

وجاء الأنبياء والرسل وأخبروا عن وجود عوالم أُخرى غيرمحسوسة وموجودات مثلها لها السيطرة على العالم المرئي وحاكمة عليه ، فتوسع السؤال الأول وصارأكثر غموضا و إشكالا .

ولأجل الفحص عن الحقيقة والوصول إلى الجواب اشتغل أُناس بالتفكر وتحليل المعلومات والوصول بها إلى المجهولات ، تسمّوا باسم **الفلاسفة وأهل النظر** .

وآخرون اعتقدوا أن الوصول إلى الحقّ لايمكن بالنظر الصِّرف ، بل الطريق إلى ذلك هوالاشتغال بالمجاهدات والرياضات حتى يتقوّى الإنسان ويتمكّن من معرفة نفسه أولا، ثم باتّساع نفسه وإحاطتها في ظلّ هذا التوسّع على العالم حوله يتمكّن من معرفة العالم بقدر ما يحيط به ويشاهده عين نفسه . وأهل هذه الطريقة تسمّوا باسم العرفاء ، وطريقتهم **العرفان العملي** .

و بعد ذلك عرض عدة منهم مكاشفاتهم وماوجدوا في طي مراقباتهم على غيرهم ، لكنها كانت مطالب متفرقة غير منسجمة ولامترابطة ـ فتصدّى جمع ـ وفي طليعتهم ابن عربي صاحب متن هذا الكتاب - لجمعها وتنسيقها وبيان ارتباطاتها وبعرض تلك المطالب والمشي على سياقها ، وعند ذلك نشأ علم آخر سمّي باسم **العرفان النظري** .

و لم تكن هذه المطالب قابلة للعرض في المجتمع العلمي بصورة مقبولة ، و إنما هي ادعاءات من قِبَل قائلها غير قابلة للردّ والإثبات ، فتصدّى جمع آخر لتبيينها بالمنهج البرهاني القابل للعرض في المجتمع العام ، وكان من أوائل أُولئك المجتهدون شارح هذا المتن في كتابه تمهيد القواعد ، ثم داوم المجاهدة حتى جاء صدر المتألهين الشيرازي ، و تصدّى بوضع أُصول بنائيه بيّن بها المعارف النظرية العرفانية بلسان فلسفي - حسب ما قدّر له - وبذلك أوجد خطّا وسطا بين العرفان والفلسفة ، سماه **الحكمة المتعالية** .

ولعل ماذكرناه لوضوحه لم يكن لازما ، غير أن العذر في إيرادها أنّا بصدد تبيين موقع هذا المتن والشرح ومكانتهما في هذا السلوك العلمي ، فلم يكن بدّا من ذكرها .

العرفان النظري :

تبيّن بما ذكرناه معنى الاصطلاح مجملا ، وحيث إنّه الغرض تعريف إحدى المؤلفات في هذا السياق ، فلذلك نضطرّ إلى توضيح موجز حول هذا العلم وغرضه المطلوب :

كل باحث عن معرفة الكون مضطرّ إلى الإجابة عن مسائل ثلاث :

١- ماهو الكيان الوجودي ؟

٢- ماهو الإنسان ؟

٣- ماهو ارتباط الإنسان بما أنه موجود متفكر مع كيان هذا العالم ؟

وبالتالي عرض منهج منتظم يحتوي على قواعد وأُصول منسجمة توضّح مسألة الوجود وارتباط هذا العالم الموجود . وهذا موضع وفاق .

و لكن هناك مناهج مختلفة تفترق في الوسائل و المبادئ المقبولة لتبنّي ما يمكّنهم من التوجيه ، فالفلاسفة منهم اعتمدوا على التفكير والتجربة البشريّة ، والمتديّنون على ما يأخذونه عن الأنبياء ومبادئ الوحي ، وأصحاب الرياضات الروحية على مايقتنصونه من اللمحات الكشفيّة والإشراقات الروحيّة .

على أن كلاً من هذه الفِرق - لضيق منهجه - يرى نفسه مضطرا إلى الاستفادة من سائر الطرق ومعارفهم ، إذ كل منها محدود بحدوده ومقتضياته ، فالمنهج الفكري في مبادئه البنائيّة ، والمنهج التجربي فيما هو وراء التجربة ، والمنهج الديني في عدم استيعاب المطالب المأخوذة لتتميم نظريّاته ، والمنهج الكشفي - بالإضافة إلى ذلك - في بيان ما يجده في عالمه الخاص بلسان قابل للعرض في المجتمع العام .

ولذلك تأثّر كل واحد من الفرق بالآخر ، واستمرّ بالتكامل في مسيره العلمي ، وإن كان اعتماد كلّ منهم على ما أكبّ عليه وجعله طريقا لنفسه في الوصول إلى مطلوبه .

فالعرفان النظريّ ينظر إلى العالم بمنظار الكشف الروحيّ أولا ، ثم تنظيم تلك المعلومات الكشفيّة وبيان ارتباطها بمزيد من التفكير شبه الفلسفي ، وفي تكميلها واليقين على صحتها بعرضها على النصوص الدينيّة المأخوذة من الوحي .

وقد وردت المطالب التي تشكّل أساس النظريّة العرفانيّة في القرآن والحديث - إما بصورة جليّه أورمزية - وكذلك في كلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ثمّ أخذت هذه المسائل في الانسجام والتلاؤم حتي ظهرت في عصر ابن عربي بصورة منسجمة ومرتبطة ، وبعدها عند تلاميذه - مثل القونوي ومَن جاء بعده - بصورة أكثر انسجاما وارتباطا، وصارت علما منحازا ذاصبغة خاصة إسلاميّة تعني بشأن الوجود والمسائل المطروحة حوله ؛ و بعد ماكان يُدّعى أن الفلسفة الأُولى أعمّ العلوم وأشملها ، بيّن أصحاب هذا العلم أن موضوعه أعم وأشمل من الفلسفة الأُولى :

قال صدرالدين القونوي في مقدمة مفتاح الغيب[١]:

« العلم الإلهي له الإحاطة لكل علم ، - إحاطة متعلقة -... وموضوع كل علم ومبادئه ومسائله فروع موضوع العلم الإلهي وفروع مبادئه وفروع مسائله ... » .

وقال صائن الدين[٢] : « فاعلم أن العلم المبحوث عنه هاهنا لما كان هوالعلم الإلهي المطلق الذي هو أعلى العلوم مطلقا ، يجب أن يكون موضوعه أعم الموضوعات مفهوما ، بل أتم المفهومات حيطة وشمولا ، وأبينها معنى وأقدمها تصورا وتعقلا » .

وقال[٣] :« إن الفرق بين هذا العلم الإلهي والعلم الإلهي المسمى بمابعد الطبيعة كالفرق بين المطلق والمقيّد - من غير فرق » .

وقال[٤] :« إنّ التعبير عما يصلح لأن يكون موضوعا لهذا العلم من المعنى المحيط و المفهوم الشامل - الذي لايشذّ منه شيء ولايقابله شيء - عسِرٌ جدّا ؛ فلو عبّر عنه بلفظ « الوجود المطلق » أو « الحق » ، إنما ذلك تعبير عن الشيء بأخص أوصافه الذي هو أعمّ المفهومات هاهنا ... » .

ومن المعلوم أنّ الوجود المعرَّف بهذا التعريف لاتعيّن له ولايكون له ضدّ ولاندّ و لابعض ولااسم ولارسم . ثم تعيّن بالتجلّي الأحديّ ثمّ الواحديّ ، وفي هذه المرتبة ظهرت الصفات والأسماء التي بها ظهرت المراتب النازلة والتجليات الأسمائية ، وبرز العالم من أضواء تلك التجليات والنكاحات السارية بين الأسماء ، وذلك على لوح النفَس الرحماني والفيض المقدّس الفائض من مقام الواحديّة ، وذلك الفيض فيض واحد إذا نظر إليه من طرف المفيض ، وعالَم ذات كثرات - يحتوي على الخلق بمختلف شتاته ومراتبه - إذا نظر إليه من طرف العالَم .

---

١) مفتاح الغيب : ٥ .
٢) تمهيد القواعد : ١١ .
٣) تمهيد القواعد : ١٧ .
٤) تمهيد القواعد : ١٨ .

ثم إنّ هذا النفَس يتنزل في مراتب الخلق حتى يصل إلى أقاصي حدوده ، فيأخذ في الرجوع إلى المصدر والمبدء ، فهو الأول والآخر ، وإليه يرجع الأمر كله ، وإليه المصير .

هذا موجز الكلام في المقام الأول ، يعني السؤال عن الوجود .

* * *

وأما السؤال الثاني : ماهو الإنسان ؟

فالجواب : « إنّ الإنسان هوالعلّة الغائيّة المقصودة من الكون وفتحه وتحصيله »[١].

وذلك لأنّ العالم - كما ذكرنا - أثر تجليّات أسماء الحقّ تعالى ، فيكون آية الحقّ يشاهد فيه وجهه ؛ فالعالم من حيث جمعيّته للأسماء مثال الحقّ تعالى ، والإنسان أيضا نسخة جامعة لجميع الأسماء بما نصّ عليه تعالى في كتابه : ﴿ وَ عَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّهَا ﴾ [٣١/٢] وورد في الحديث[٢]: « إن الله خلق آدم على صورته » . فهو أيضا مثال الحق في عالمه الصغير وهو « الحق الخلق »[٣]؛ ولتشابه النسختين يسمى العالم بـ « الإنسان الكبير » وفي مقابله الإنسان بـ « العالم الصغير » .

ومعلوم أنا عند مانتكلم عن الإنسان فالمقصود هو الإنسان الكامل الذي أحصى جميع الأسماء الإلهية وبه صار خليفة له تعالى ، فلامنافاة لذلك مع ماجاء في وصف بعض أفراده : ﴿ أولئكَ كالأنعَام بَل هُم أضَلُّ ﴾ .

* * *

و بما قلنا ظهر الجواب عن **ثالث الأسئلة** : ارتباط الإنسان مع العالم .

فالإنسان لكونه علة غائيّة للإيجاد وبأنّه جامع لجميع الأسماء الإلهيّة ، كالروح في جسم هذا العالم ، قال في الفصوص[٤] :

---

١) مصباح الأنس : ١٠٢ .
٢) راجع ص ٧١ من الكتاب .
٣) شرح القيصري : ٤٠٥ .
٤) متن الكتاب : الفص الآدمي ، ٨٩-٨١ .

« وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوّى لاروح فيه ، فكان كمرآة غير مجلوّة ، ومن شأن الحكم الإلهي أنه ماسوّى محلا إلا ويقبل روحا إلهيا ، عبّر عنه بالنفخ فيه ؛ وما هو إلا حصول الاستعداد من تلك الصورة المسوّاة لقبول الفيض التجلي الدائم الذي لم يزل ولايزال ، ... فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم ، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة ... » .

* * *

هذه هندسة كيان الوجود عند ابن عربي وأتباعه ، وفي ضوء ذلك استطاعوا الإجابة عن كثير من المسائل التي تعرض أمام كل آيديولوجيّة تريد تبيين مسألة الكون ، مثل السؤال عن المبدء والمعاد والنبوّة والولاية والأسماء الإلهية والقضاء والقدر والاختيار الإنساني والدنيا والآخرة والجزاء والحساب والجنة والنار - وغيرها من المسائل .

والاعتماد في جميع ذلك إما على الكشف الروحي أوّلا - حسب ادعائهم - ثمّ تأييده بالكتاب والسنّة والعقل ، أو بالعكس . وأبرز ممثّل لهذا المنهج هو متن هذا الشرح الذي بيد القارئ ، أعني كتاب فصوص الحِكَم حيث قال المؤلّف في مقدمته [١] :

« أما بعد - فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشّرة أُريتها في العشر الآخر من محرّم - سنة سبع وعشرون وستمائة - بمحروسة دمشق ، وبيده ﷺ كتاب ، فقال لي : « هذا كتاب فصوص الحكم ، خذه وأخرج به إلى الناس ينتفعون به » ؛ فقلت : « السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منّا كما أُمرنا »؛ فحقّقت الأُمنيّة وأخلصت النيّة ، وجرّدت القصد والهمّة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدّه لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ؛ وسألت الله تعالى أن يجعلني في جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ...حتى أكون مترجما لامتحكّما ... فما أُلقي إلا مايلقى إليّ ، ولا أُنزل في هذا المسطور إلا مايـنزّل به عليّ ، ولست بنبيّ ولا رسول ، ولكني وارث ولآخرتي حارث ...» .

---

١) متن الكتاب : ٥٧-٤٩ .

وبناء على ما ادّعاه تراه يأخذ في كل فصّ جملة من الآيات أو الأحاديث ثم يستنبط - من تفسيرها أو تأويلها - مسائل بنائيّة تبيّن شطرا من المسائل المطروحة حول الوجود وفروعه .

وبناء على الادعاء المذكورترى بعض شارحي الكتاب ذكروا أنّ هذا هو الكتاب الصادر من رسول الله ﷺ ، كما أنّ القرآن هو الكتاب النازل عليه [١].

وفي ضوء هذه الأقوال وبعد تسليم صحة المبشّرة يطرح أمام القارئ مسائل ثلاث :

١- مدى صحة استناد المطالب في هذا الكتاب إلى النبي ﷺ ، وبالتالي مدى حجيّتها نظرا إلى أنها صادرة عنه ﷺ ؟

٢- وإن لم تثبت الحجيّة ، فكيف اعتبار الكتاب نظرا إلى كونها في الأغلب مستندة إلى القرآن والحديث - تفسيرا أو تأويلا ؟

٣- مدى اعتبار الآيديولوجية في مطالبها البنائيّة - بصرف النظر عن الفروع غير الثابتة - من الناحية العقليّة والبرهانيّة ؟

والكتاب بعد ظهوره في ضمن هذا الإطار العلميّ صار بإثارة هذه الأسئلة موضع نقاش شديد بين أصحاب العرفان والنظر والفقهاء والمحدّثين ، حيث لم نسمع بكتاب مثله تعرّض للقبول والردّ ، والشرح والنقض ، والمدح والاستنكار ، حتى كتب حوله عشرات من الكتب وصدر حول مؤلّفه ومطالب كتابه عشرات الفتاوى المختلفة [٢] .

وبما نحن في صدد بيان مقدمة لهذا الشرح فعلينا أن ننظر نظرة سريعة في الجواب عن الأسئلة الثلاثة :

---

١) نص النصوص : القسم الثاني ، التمهيد الأول ، البحث الثالث ، ٦٤ .

٢) المحقق الفقيد عثمان يحيى في مقدمته لتحقيق « المقدمات من كتاب نص النصوص في شرح الفصوص للسيد حيدر الآملي - قده - » رتّب فهرسا شاملا للكتب المؤلفة حول كتاب فصوص الحكم ، فذكر (١٢٥) كتابا ألف شرحا للفصوص أو لمختصراته ، و (٣٦) كتابا في الرد عليه ، و (٣٤) كتابا في الدفاع عنه ؛ كما أنه سرد أسامي (١٣٨) من العلماء الذين أفتوا بجرح ابن عربي وفي المقابل (٣٣) فتوى بتعديله .

١- إنّ انتساب صدور الكتاب إلى النبي ﷺ ، هل يمكن تأييده نظرا إلى رؤيا ابن عربي بضميمة الحديث المعروف[1] : « من رآني فقد رأى الحق » ؟

على أنّ هذه الرؤيا كانت مكاشفة لابن عربي ، ولأهل الكشف علامات يعرفونها وبها يحصل لهم الاطمئنان بصحة المكاشفة ؟

ويجاب عن الاستناد بالحديث بما ذكره ابن عربي نفسه حول رؤية رسول الله ﷺ في المنام في الفص الإسحاقي بعد ما بيّن أن موطن الرؤيا يحتاج إلى التعبير وقد يشتبه الأمر على الإنسان فيحسب مارآه في الرؤيا عين ما يخرج في الخارج ، كما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام - حسب ماقاله ابن عربي - قال[2] :

« ... كما فعل تقي [بقي] بن مخلد صاحب المسند ، سمع الخبر الذي ثبت عنده أنّه قال ﷺ :« من رآني في النوم فقد رأني في اليقظة ، فإنّ الشيطان لايتمثّل على صورتي » ، فرآه تقي [بقي] بن مخلد وسقاه النبي ﷺ في هذه الرؤيا لبنا ، فصدّق تقيّ بن مخلد رؤياه ، فاستقاء ، فقاء لبنا ؛ ولو عبّر رؤياه لكان ذلك اللبن علما ، فحرّمه الله علما كثيرا على قدر ما شرب . ألا ترى رسول الله ﷺ لما أُتي في المنام بقدح لبن ، قال : « فشربته حتى خرج الريّ من أظافيري ...» قيل :« ما أوّلته يارسول الله » ؟ قال : « العلم » . وما تركه لبنا على صورة ما رآه ، لعلمه بموطن الرؤيا و ما يقتضي من التعبير ؛ وقد علم أنّ صورة النبي ﷺ التي شاهدها الحسّ ، إنها مدفونة في المدينة ، وأن صورة روحه ولطيفته ماشاهدها أحد من أحد ، ولامن نفسه - كل روح بهذه المثابة - فيتجسّد له روح النبيّ ﷺ في المنام بصورة جسده كما مات عليه ، لايخرم منه شيئا ؛ فهو محمّد ﷺ المرئي من حيث روحه ، في صورة جسديّة تشبه المدفونة ، لايمكن لشيطان أن يتصوّر بصورة جسده ﷺ عصمة من الله في حقّ الرائي . ولهذا من رآه بهذه الصورة يأخذ عنه جميع ما يأمر به أو ينهاه أويخبره ،كما كان يأخذ عنه في الحياة الدنيا من الأحكام ،

---

١) راجع في الكتاب : ٣٥٥ .

٢) راجع في الكتاب : ٣٥٩-٣٥٧ .